

رواية شيكاغو

يطل علينا الكاتب المصري علاء الأسواني في روايته الأخيرة "شيكاغو" بعمل جديد يضاف لسجل هذا الأديب عربيا وعالميا. للوقوف على رواية "شيكاغو" والنجاح الذي شهدته كونها الرواية الأكثر مبيعا عربيا نتوقف قليلا على شخص الكاتب. فعلاء الأسواني الذي ينفي صلته بأي مدرسة نقدية وصاحب الكتابات المتنوعة بدءا من القصة مرورا بالرواية والمقال هو دخيل على عالم الأدب. ولكن دراسته لطب الأسنان لم تمنع كاتبنا من سعة الإطلاع والتبحر في عالم الكتابة. وبدأ علاء الأسواني الكتابة بعد إقامته الأولى في أمريكا وأطل على العامة لأول مرة بمجموعة قصصية.

"شيكاغو" ثمرة جهد أدبي دام لثلاث سنوات تأتي لتواصل طريقا بدأه علاء الأسواني في أعمال سابقة. فالأسواني صاحب "عمارة يعقوبيان" الصادرة عام 2002 و "نيران صديقة" الصادرة عام 2004 يواصل في "شيكاغو" الكتابة عن هموم الإنسانية. إلا أن علاء الأسواني لا يتحدث عن أشياء بعيدة المنال أو عصية الفهم فهو يتحدث عن الهموم اليومية بخاصها وعامها. ترجمت عدة من أعمال الكاتب منها رواية "عمارة يعقوبيان" و"شيكاغو" إلى لغات عدة منها الإنجليزية والفرنسية. ولا ضير من الإشارة إلى تقديم رواية "عمارة يعقوبيان"، والتي شهدت نجاحا مماثلا لرواية "شيكاغو"، في عمل سينمائي يحمل اسمها.

صدرت الرواية بنسختها العربية عن دار الشروق عام 2007 بطبعتها الأولى. تحوي الرواية 453 صفحة من القطع المتوسط. أما بالنسبة للنسخة الفرنسية فصدرت عن دار "اكت سود"¹ عام 2007. عكف على ترجمة الرواية جيل جوتيه. وتحوي النسخة الفرنسية 460 صفحة من القطع المتوسط.

أسلوبيا "شيكاغو" تلحق برواية علاء الأسواني "عمارة يعقوبيان" والتي تعالج مشاكل المجتمع عبر طرح مشاكل ساكني عمارة حيث يتفرد كل ساكن من سكان العمارة بقصة مستقلة وربما مستقلة عن جاره إلا إن القصص تصب في النهاية لوصف مشهدا اجتماعيا واحدا. لكن "شيكاغو" تختلف بمجازتها البعد الإنساني في المجتمع العربي إلى المجتمع الأجنبي، وتختلف أيضا بخلطها لشخصيات عربية بأجنبية. وعلى الرغم من هذا الاختلاف يبقى علاء الأسواني كاتبنا واقعيًا.

يحكي لنا علاء الأسواني في "شيكاغو" عن حياة عدد من الطلاب والمدرسين المصريين في مدينة شيكاغو وبعض المدرسين الأميركيين. يدرس أغلب هؤلاء الطلاب تخصص علم الأنسجة في مرحلة الماجستير والدكتوراه في جامعة إلينوي. ولكل واحد من هذه الشخصيات هممه ونصيبه من الأحداث. إذ تتقابل الأضداد في ثنايا الرواية. ونرى ذلك التناقض في شخصية رأفت ثابت الذي ينفي أصوله وانتماءه المصري، إلا أن سمات الرجل الشرقي تطفو على سطح وجدانه حين تقيم ابنته علاقة مع فتى أميركي فاشل. ونرى هذا التناقض أيضا في حياة الشخصيات بالفارق بين مظهر المحب للجميع المتمثل بشخص أحمد دنانة وحقيقة عمله كمخبر. إلا أن التناقض لا يتوقف هنا فنرى أيضا التصادم بين مصري قبطي وآخر مسلم، وبين مسلم ويهودية ونراه أيضا بين الانتماء لوطن خيب الظنون وبلد مضيف يضع قيمهم على المحك. يلاحق علاء الأسواني شخوص روايته أينما ذهبت لنرى تطور عقدهم

¹ Actes sud

وتعقدتها أكثر فأكثر ربما. علاء الأسواني يعالج من خلال هذه الشخصيات قضايا أساسية كالعنصرية والتعنت، والنفاق الاجتماعي، والصراع بين المبادئ وما يفرضه الواقع. يواصل علاء الأسواني ملاحظته لشخصيات الرواية حتى تجد كل شخصية مخرجها سواء كان ذلك المخرج حلاً حقيقياً أو هرباً للأمام. تتقاطع روايات هذه الشخصيات حيناً وتتباعد حيناً آخر إلا أن ما يجمعهم جميعاً هو إقامتهم في مدينة شيكاغو.

تحتل "شيكاغو" مكانة خاصة في الأدب العربي المعاصر حيث تحمل قيماً لم يعهدها الأدب في السابق، فعلاء الأسواني يتحدث عن مجتمعه بلا تحفظ ويفضح ما يعد من مواضيع الحرج الاجتماعي. إذ يتطرق الراوي إلى مواضيع حساسة كالجنس والعنوسة والفساد السياسي. وبذلك تنتمي "شيكاغو" إلى تيار حديث تمثل في روايات عدة ومنها "بنات الرياض" الصادرة عام 2005 لرجاء عبدالله الصانع ورواية "برهان العسل" الصادرة عام 2008 لسليمة النعيمي. وعلى الرغم من موافقة "شيكاغو" أسلوبياً لسماوات الكتابات الحديثة من الصراحة والمكاشفة إلا أن علاء الأسواني لا يعتبر نفسه منتمياً للتيار الواقعي كما أوردنا آنفاً وكما يؤكد الأسواني في مقابلة أجرتها معه صحيفة الخليج. وبحسب علاء الأسواني فإن همه الأول هو كتابة أدب جيد بغض النظر عن المدرسة التي ينتمي إليها².

قدمت "شيكاغو" لغة عربية راقية وسلسلة دون إغراب أو تكلف. هي لغة نلمح فيها أثر العصر فنجد تارة كلمة "هستولوجي" للإشارة إلى علم الأنسجة، ونجد تارة أخرى كلمة "بوتاجاز" للحديث عن موقد الطهي. ولا يتردد علاء الأسواني من كتابة مقطع أغنية في روايته. وتتميز كتابة علاء الأسواني أيضاً بالوضوح فتتسلسل الأفكار واضح ومشوق.

أما على المستوى الإعلامي³ فقد حظيت رواية "شيكاغو" بمكانة عالية الأهمية انعكاساً لروايتها على المستوى الشعبي. فبكونها الرواية العربية الأكثر مبيعاً وكونها رواية أخرى لكاتب رواية "عمارة يعقوبيان" جعلها عرضة للنقد الأدبي وموضوع جدل شعبي. وانصبت عناية الصحافة على نقطة الواقعية في الكتابة والكتابة في مواضيع الحرج الاجتماعي. وانقسم الصحفيون والناقدون بين مؤيد ومعارض، ومحذ وممسك. وبغض النظر عن آراء وتوجهات المشاركين في هذا الجدل العريض فإن رواية "شيكاغو" أسرت قلوب محبي الرواية العربية واستنفرت وسائل الإعلام عربيها وغربيها، فكانت بذلك محطة مهمة في تاريخ الأدب العربي ورواية أثرت المكتبة العربية لما فيها من علامات استفهام على واقع إنساني يصعب الحديث عنه لحاجة في نفس الإنسان العربي.

وفيما يلي نص مقتطف من رواية "شيكاغو":

(قال فريدمن: أودّ أن أستشيركم في موضوع.. تعرفون أنّ مكتب البعثات قد اتّفق مع القسم على إرسال طلاب مصريين.. لدينا الآن ثلاثة طلاب: طارق حسيب.. شيماء محمدي.. وأحمد دنانة.. هذا الأسبوع بعث مكتب البعثات بأوراق طالب جديد اسمه.. (توقف وقرأ الاسم بصعوبة).. ناجي عبد الصمد.. هذا الطالب مختلف عن الآخرين لأنه لا يعمل في الجامعة.. لقد اندهشت في البداية، لم أفهم لماذا يريد أن يحصل على ماجستير في الهستولوجي إن كان لا

² <http://www.alkhaleej.ae/portal/e0486cab-b5da-4885-8237-746848f3674b.aspx>

³ http://www.babelmed.net/Pais/M%C3%A9diterran%C3%A9e/%C3%A2chicago%C3%A2_de.php?c=2894&m=34&l=fr

⁴ <http://www.evene.fr/livres/livre/ala-el-aswany-chicago-29478.php?critiques>

يعمل بالبحث العلمي أو التدريس؟! إن هذا الطالب قد استُبعد من التعيين في جامعة القاهرة لأسباب سياسية، وإن حصوله على الماجستير سيدعم موقفه في القضية التي رفعها على جامعة القاهرة.. أريد أن أعرف رأيكم.. هل نقبل هذا الطالب؟

كان جورج مايكل أول من طلب الكلمة: -أنا لا أعترض على قبول الطلبة المصريين.. لكن فرصة التعلّم هنا نادرة وثمانية، ولا يجب أن نبدها لمجرد أن طالبا من إفريقيا يريد أن يكسب قضية ضد حكومته.. أظن التعليم عندنا له وظيفة أكبر.. أنا أرفض قبول هذا الطالب.

أشار رأفت ثابت ثم بدأ الحديث بلهجة من يحكي طرفة:.. باعتباري كنت مصريا في يوم من الأيام، فأنا أعرف جيدا كيف يفكر المصريون.. هم يحصلون على الماجستير أو الدكتوراه ليس من أجل البحث العلمي، وإنما من أجل الحصول على ترقية أو عقد مُجز في بلاد الخليج..

- ألسنت تبالغ قليلا يا رأفت؟.. هكذا سأل فريدمان بصوت خافت، فتدخّل صلاح قائلا: -طبعاً يبالغ.. التفتت إليه رأفت وقال بحدة: -أنت بالذات تعلم أنني لا أبالغ !

تنهّد فريدمان قائلا: -ليس هذا موضوعنا على أي حال.. لدينا الان رأيان من مايكل وثابت ضد قبول الطالب المصري.. ما رأي جراهام؟

أخرج جراهام الغليون المطفأ من فمه وقال بعصبية: -الحق واضح. كل من يجتاز الاختبارات التي طلبناها في لائحة القسم من حقه أن يلتحق بالدراسة.. ليس من شأننا ما سيفعله بشهادته، وليس من شأننا أيضا من أي بلد جاء. تذكر يا مايكل أنك كنت دائما ضد قبول أي طالب غير أمريكي.. أما أنت يا رأفت فإن كلامك يضعك تحت طائلة قانون مكافحة العنصرية!..

أشار الرئيس فريدمان بيده قائلا: -لقد خرجنا عن الموضوع.. جراهام، أنت موافق على قبول الطالب.. وأنت يا صلاح.. اثنان موافقان واثنان معترضان.. سأحتفظ برأيي للنهاية.. نريد أن نسمع دينيس بيكر..

ابتسم بيكر وظلّ صامتا لحظة، ثم اتسعت عيناه وقال بصوت الأجنّ: -أفضّل أن يكون التصويت رسميا..

رفع البروفيسور دينيس بيكر يده موافقا، وكذلك فعل الدكتور فريدمان، ثم أحصى الأصوات بنظرة سريعة وانحنى على الأوراق ليسجل قرار المجلس بقبول ناجي عبد الصمد.)

عن رواية شيكاغو لعلاء الأسواني بتصرّف